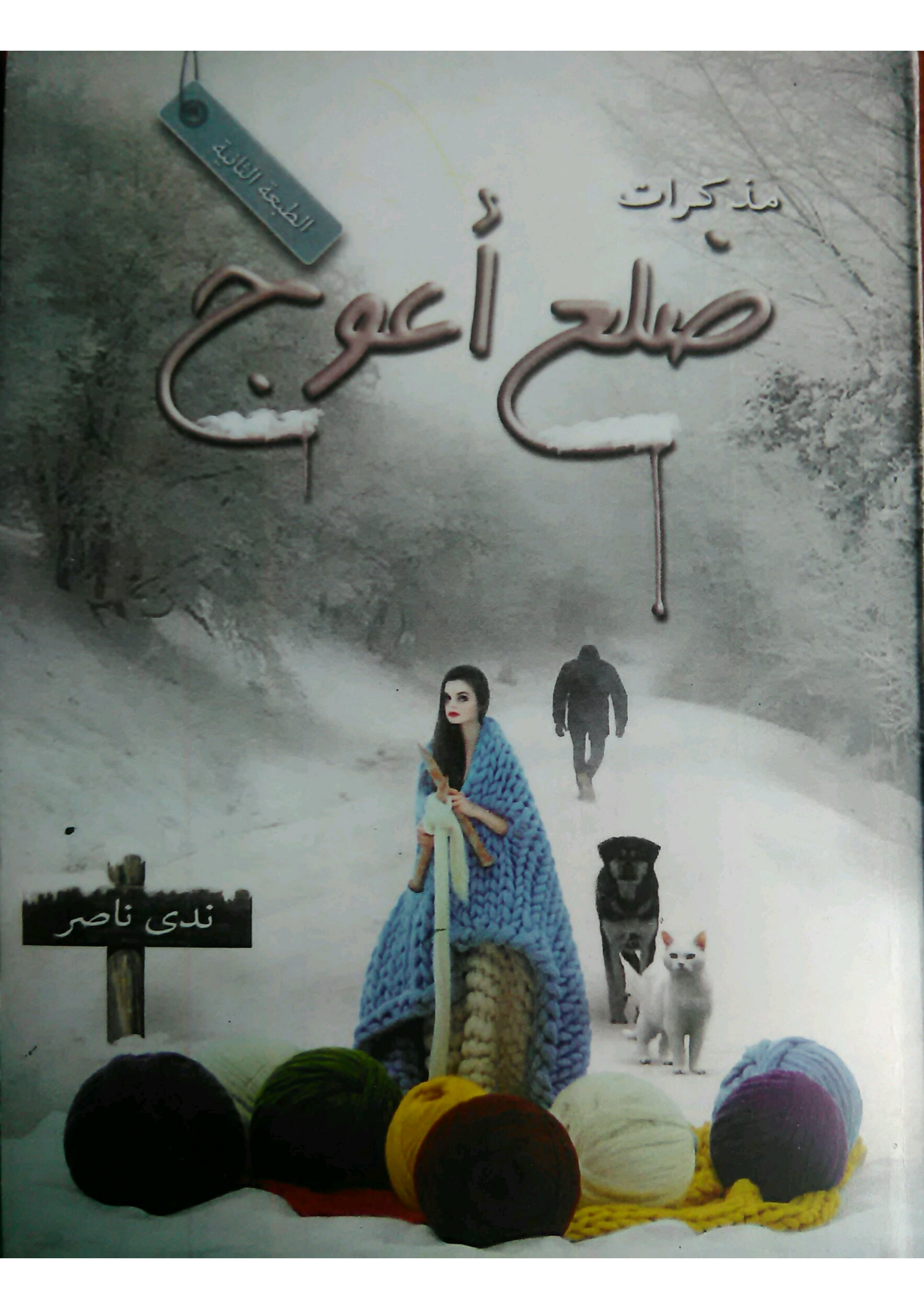

الطبعة الثانية
مذكرات
ضلع أعوج
ندى ناصر

مذكرات ضلع أعوج

ندى ناصر

قبل أن تبدأ القراءة ، وقبل أن تمتعض :

حاول أن تتخيّل أنّ امرأةً كانت تكتب بسريّة تامّة ، تكتب ما لا تستطيع أن تتحدث به إلى أيّ أحد كانٍ ، تكتب وتراقب الباب ، تكتب وتتعرّق ، تكتب وتُقرّضُ شفتيها ، تكتب وتقضم رأس القلم ، وما أن تسمع صوتًا يشي بقدوم أحد إليها ، حتى تسارع بدسّ دفترها ، تحشره تحت مرتبة فراشها الثقيلة ، المحشوّة بالنوابض ، تعاود تموضعها ، وتتظاهر بأنها تتصفّح المجلة ، ترتعش أصابعها ، وفي فمها بقايا سطرٍ لم يكتمل!

حاول أن تتخيّل أيضًا ، أنها حشرت يدها مرةً تحت المرتبة ولم تجد دفترها ، فتّشت بعمقٍ أكثر حتى انكسر ظُفرها ، قلَبَتْ المرتبة وطقطق عمودها الفقريّ ولم تجد شيئًا . فارتعَبَتْ ، ليس لأنّ أحداً سيقرؤها وحسب ، إنّما لأنها فقَدَتْ آخر حقٍ لها في الكلام!

تخيّل أيضًا أنك عثرتَ على دفترها المفقود هذا تحت بلاطة مُخَلْخَلَة في بيتٍ تريد أن تسكنه - تخيّل فقط - بعضُ صفحاته منزوعةٌ من المنتصف ، وبعضها مُلطّخٌ ببقعٍ داكنة ، وصورةٌ بداخله لامرأةٍ وجهها مثقوبٌ برأسٍ حاد!

تخيّل أمرًا أخيرًا ، أنه قد مضى على ذلك أكثر من ثمانية أعوام ، هل تتذكر أين كنتَ قبل ثمانية أعوام ؟ وكيف كانت حياتك ؟

على سبيل المقدّمة للطبعة الثانية :

إنّه لمن الصعب جداً أن أقف في مواجهة مع نسختي القديمة ، لا لأُصحّح أخطائي الإملائية أو النحويّة ، إنما لأُصحّح عوضًا عنها أفكاري ، و أُعيد صياغتها بما يخفّف من بدائيّتها الـمُفْرَطَة . كنتُ قد قرّرتُ عدم إعادة طباعة هذا الكتاب ، ومضيتُ في قراري إلى ما يقارب الأربع سنوات ، أملاً في أن ينساه الناس أخيراً ، ولا يعود أحدٌ إلى ذكره ، غير أنّي تفاجأتُ بإلحاحهم العجيب في البحث عنه ، والسؤال عن أماكن توفّره يتزايد سنةً بعد أخرى ، الأمر الذي أضحكني وآلمني في الآن ذاته ، إذ يركّز الشخص في العادة على الأشياء الغامضة والمفقودة ، ويحقنها بجرعات من خياله الواسع ، الذي يُصوّرها له جميلةً أكثر مما ينبغي ، بينما هي في الواقع عاديّة - وأقلّ من عاديّة - وهذا الكتاب هو من جملة الأشياء العاديّة ، التي تُقْدِم على فِعْلِها في زمن بكل أريحيّة ودون أدنى شك في جدواها ، ثم تتمنى لاحقًا أن يعود بك الزمن إلى الوراء ، فقط كي لا تفعلها .

لا أشعر بالخزي اطلاقًا من اعتراف كهذا ، بل على العكس منه ، إنه مؤشرٌ يُؤخذ بعين الاعتبارً في قياس مدى التغيير الذي قد تصنعه التجربة . وهي عادتي في التنكّر لأيّ شيء قديمٍ ما عاد يُشبهني ، وعادتي في التنصّل من الأشياء البطيئةً التي لا تركض معي ، وعادتي في الخوف من أن أبدو مُهرّجًا ثقيل الظلّ ، والشك الأزليّ في مِصداقية أيّ شيء قابل للتحوّل من حالة إلى أخرى ، وعادتي في البحث السرمديّ عن المزيد ، وعادتي في التقليل من شأن ما أفعله ، وامتعاضي الدائم من وجهي في أيّ صورة جماعية ، وسلسلة الافتراضات اللامنتهية ، لو أنّي ابتسمتُ قليلاً ، لو أنّي نظرتُ إلى شيء آخر غير العدسة ، لو أنّي استدرتُ إلى اليمين أكثر ، لو أنّ يدي كانت معلقةً على الكتف المجاورة لا متدلّية ، لو أنّ أحمر الشفاه كان قاتمًا ، لو أنّ شعري كان مرفوعًا لا مُنسدلاً ، لو أنّي ما نصبتُ ظهري إلى هذا الحد ، لو أنّي وقفتُ في المنتصف بدلاً من الحافّة ، ولا أستطيع أن أكبح شعوري بالندم في نهاية الأمر لأنّي قبلتُ بالوقوف بينهم أصلاً ، ثمّ أُقرّر ألاّ أفعلها في المرة القادمة . هل أخبرتُك أني أكره صوتي مسجلاً ؟ لا يختلف الأمر هنا عن صوتي المُسجّل .

وبما لا شكّ فيه أن لأصداء الإصدارين الأَخيرَيْن دورًا كبيرًا في البحث عن هذا الإصدار الأول ، الأمر الذي لربما يُصيب القارئ بخيبة أمل ، إذ قد ينسى أنه الإصدار الأول فيتعامل معه كإصدار ثالث وِفْقَ الترتيب الزمني لقراءته .

الجدير بالذكر أنّ هذه المذكرات هي مسودّاتي في أوّل مشواري مع الكتابة ، وأعني ما أقوله هنا بأنها مسودّات ، إذ لم أجرؤ على تحريرها آنذاك لأسباب حمقاء ، على رأسها أنه لا يجوز - في اعتقادي - المساس بهيئتها الأوّلية ، والتي أرجو أن يشفع لها التاريخ الموضّح أعلاها ركاكتها أو تطرّفها .

ومن غير الجدير بالذكر أن تعرف أني قد تعرّضتُ لحادث ما ، أخَذَت الحياة من فوره مُنعطفًا مُفاجئًا ، وتذوّقتُ الفقد في أَمَرّ حالاته ، وتفجّرَتْ بعده طاقتي الكتابيّة بين ليلة كارثيّة وضحاها ، فأطلقتُ سرب الشتائم المحبوسة في فمي ، وصرختُ من النافذة المُطلّة على الخراب ، ولكمتُ المرآة ، وتخبّطتُ كثيرًا في العتمة الحالكة .

هل أحاول إقناعك هنا؟ لا ، على العكس من ذلك ، إنها الحقيقة التي ما كان ينبغي أن أوثّقها ، ولا يجب أن يوثّقها أحدٌ عن نفسه في كتاب ، لأنها تُفسد على القارئ لذّة البحث والفضول ، وتجعل الأمر واضحًا ومُملاً ويفتقر إلى الغموض الذي يدفع بدوره إلى التشويق .

لماذا أكتب إذًا ؟ تختلف إجابتي عن هذا السؤال مرةً بعد أخرى . لديّ دافعٌ يختلف في كل مرة ، ولا أدري لماذا أكتب أحيانًا ، إنّني أكتب وحسب ، ما أنا أكيدةٌ منه هو أنّي لم أكتب يومًا من أجل المجد أو الشهرة ، إنّهما دافعان مجرّدان من الفضيلة ، هل أدّعي الفضيلة إذًا ؟ أيضًا لا ، لكنني حين لا أجد دافعًا يدفعني إلى الكتابة غير الشهرة فإني سأتوقّف فورًا . هل يبدو أني أكذب ؟ ربما ، لأن كل الأجوبة التي لا تأتي طِبْقًا لما نريد أن نسمعه ، تبدو لنا كاذبة .

- حاول أن تُصدّق إذًا - كنتُ أكتب بلا أيّ مصفاة ، كل ما كان يدور في رأسي دَلَقْتُه على الورق ، لكني تنبّهتُ بعد ذلك إلى مسألةٍ غايةٍ في الخطورة ، لقد كنتُ أكتب قدري ، وأقرّر

من خلال تنبّؤاتي الخرقاء ما يمكن أن تؤول إليه حياتي ، لا يجب أن تتفق معي هنا ، والحديث عن هذه المسألة قد يطول شرحه ، وقد لا تؤمن به في نهاية الأمر بتاتًا ، لا يهم ، المهم أني آمنتُ به ، ووضعتُ أوّل فلاتري الكتابيّة ، وتوقّفتُ عن الكتابة تحت تأثير الموسيقى أو الأدرينالين ، وتخلّصتُ بعض الشيء من سوداويّتي - لا بُدّ أنك قد لاحظت ذلك - لا تقُلْ بأنك لم تلاحظ أرجوك . ثم تزايدت الفلاتر شيئًا فشيئًا ، فلتر القبيلة ، وفلتر الوزارة ، وفلتر الخصوصية ، وفلتر التفسيرات المغلوطة ، وفلتر الضمير ، وفلتر الابتكار والتجديد ، وفلتر الأثر والجدوى ، إلى الحد الذي ما عادت الكتابة معه أمرًا هيّنًا أبدًا .

في البدء ، كنتُ أكتب عن وجعي بدافع التشافي ، كنتُ أجرّب مِبْضَعَ الجرّاح كتدخّلٍ هام وعاجل ، أكتب كثيرًا من الرسائل القصيرة على طريقة قوارب ورقيّة ، تذوب قبل أن تصل .

أما الآن وقد سئمتُ كل ذلك وآمنتُ بعدم جدواه ، أريد أن أكتب عن الضوء الذي يرمش من المصباح المعطوب ، أُريد أن أكتب عن العنكبوت الذي يستقبلني في حوض الاستحمام فأُلاحقه بقطرات الغسول السائل لينكمش أخيراً تحت بقعةٍ ورديّة ، ويموت بسلام .

أريد أن أكتب عن البعوضة التي قد أُفرغ نصف قنينة عطرٍ في مُلاحقتها هي الأخرى ، لتسقط أخيراً برشّةٍ موفّقةٍ ، وتموت تاركةً الحجرة تفوح بعطرٍ فاخر . أريد أن أكتبَ عن الساعة التي أدفنها بين ملابسي لأنّ تكتكة عقاربها تزعجني ، أو أكتب عن الفأر الذي لمحتُ ذيله ينعطف يميناً في نهاية السلّم ، مُتسلّلاً في خفيةٍ من حُجرة إلى أخرى ، وعدد الفخاخ التي نصبتُها له دون جدْوى . ممسوسةٌ بالكتابة ، عاجزةٌ عن المواصلة أو التراجع .

هل يبدو ذلك تافهًا ؟ أعرف . لأننا نستخفّ عادةً بما لا يقع في دائرة اهتمامنا ، ونظنّ دائمًا بأن معاناتنا هي الأجدر بالأنين .

إنّ الضحك أحيانًا هو درجة أعلى في التألّم من النحيب والبكاء ، هل لاحظتَ يومًا ذلك؟

لكن الأمر هنا لا يندرج تحت قائمة التوافه ، إنما هو الانتباه الشديد والجديد لكل التفاصيل الصغيرة التي ما كنتُ أشعر بها من قبل ، النظر إلى الحياة من وجهة أخرى لا إنسانية ، النظر إلى الأحذية من وجهة نظر النملة مثلاً ، أو النظر إلى مائدة الطعام من وجهة نظر المروحة المعلّقة بالسقف . زاويةٌ أخرى جديدة للأشياء التي اعتدتُ النظر إليها من جهتي كإنسان .

لماذا أخبرك بكل هذا ؟ ربما لأطمئنّ على سلامة المخيخ الذي قلّما نتذكره لأنه يعمل بصمت - إننا ننسى كل شيء يعمل بصمت - متى كانت آخر مرة تذكرتَ فيها الطحال أو الكبد أو البنكرياس؟ كلها تعمل لصالحنا ليل نهار ، لكنها تعمل بصمت فننساها . أو ربما أخبرك بذلك لأنّ أحدًا لم يستمع إليّ ذات غُبْنٍ فتعوّدتُ الكتابة .

الأمر باختصار شديد ، وأنا سيدة الاختصارات كما تعلم ، أنّي لا أعرف كيفً أتخيّل شيئًا لم يحدث ، وأعتقد بأنّ الكتابة التي يُوصي بها النّقاد تتطلّب قدراً من الخيال ، وأفكّر في الفرق بين التخيّل والكذب ، هل تجد فرقًا بينهما؟ أنا لم أجد! ولا أعرف كيف أكذب على الورق ، لذا لن يُصنّفني العالم روائيّةً مدى الحياة على الأرجح . غير أني فعلتُ شيئًا آخر لا أعرف له كُنية ، تخيّل معي ، كانت هنالك مجموعةٌ من الدُّمى ، فكّكتُها ، بعثرتُ الرؤوس والأذرعة والأرجل ، ثمّ أعدتُ تجميعها بعشوائية متعمّدة ، بادلتُ بين أطرافها ، حتى ما عادت أيّ دمية منهاً تُشبه حقيقتها ، فتكوّنت دُمى جديدة ، لا تتعرّف إلى نًفسها أمام المرآة ، بماذا في رأيك يسمى هذا؟ كذبًا؟ أم تخيّلاً؟ أم إبداعًا؟ أم تلفيقًا؟ لا أدري ، لكنه أكثر أمانًا على كل حال . ربما أُعيد يومًا ترتيب الدّمى وِفقَ تكوينها الأصليّ ، وأكتب عن ذلك . من يدري؟

إنّنا حين نكتب ، نختار ما نريد أن يعرفه عنّا الآخرون ، وهذا في حد ذاته تحايلٌ جيّدٌ إذا ما اخترنا مصفاةً بثقوب صغيرة جداً ، لكن الأمر يختلف عندما تكون الكتابة نوعًا من مقاومةً

الاختناق ، وتصبح ثقوب المصفاة الصغيرة هذه هي المعبر الوحيد للهواء ، فإننا حتمًا نريدها أكثر اتّساعًا بما يكفي لنتنفّس .

الآن تحديدًا أنا أقاوم رغبتي في حذف هذه المقدمة ، وأقاوم رغبتي في التراجع عن إعادة طباعة هذا الكتاب ، ومن الجيد أن أكتفي بهذا القدر قبل أن أُغيّر رأيي و أضع نقطة (.)

ندى

١٥ أبريل ٢٠١٦م

الإهداء القديم :

إلى من تألّمتُ لأمنحه الحياة ..

ولـمّا عاش آلمني ..

إلى فيصل وأثير ..

هي رسالة طويلة الأجل ..

قد يستغرق وصولها العديد من السنوات ..

الـمُرسِل : أحقّ الناس بِحسْنِ صحابتكما

جاري الإرسال ...

٢٠١٠م

الإهداء الجديد :

إلى الذين ألحّوا على إعادة طباعة هذا الكتاب ..

٢٠١٦م



ربّما أنا ميّتة ، أو ربّما لم أُخلَق بعد !

لطالما حلمتُ ببيتٍ صغير ، يحتضن صغار أحلامي ..

بأسقفٍ منخفضة ، ونوافذ واسعة ..

أرضه وجدرانه وسلالمه وخزائنه ..

وحتى أوانيه من الخشب ..

مقاعده من الجلد الأحمر القاني ..

وسائده من المخمل البنفسجيّ الناعم ..

يطرق المطر نوافذه بإلحاحٍ دائم ..

وتشاكس الرياح ستائره الـمُتبرّجة ..

تتعانق في أرجائه رائحة العطور والقهوة والحب والسجائر ..

أضواءه تومِض خافتةً على استحياء ..

في جانبه مكتبةٌ ضخمة على رفوفها أشهر الكتب وأندرها ..

وسُلّمٌ طويلٌ يتوكّأ عليها ..

وطفلٌ يحبو بين جنباته ويعبث في ترتيب الأشياء ..

ولأني كبرتُ بما يكفي لأفهم حقيقة الحياة ..

أدركتُ بأن المرتبة الأولى لا تكفي لأحصل على وظيفة ..

والجمال وحده لا يكفي لأتزوّج من الرجل الذي أُريد ..

وثمن البناء باهضٌ جداً ..

والإيجارات فاحشة ..

وما من رجلٍ يستحقني ..

وسماؤنا لا تُمطِر ، و إنْ أمطرتْ مرةً واحدة غَرِقنا ..

و أشهر الكتب في مكتباتنا ممنوعة ..

والرجل الذي أحبَبْتُه متزوّج ..

والجدران والأسقف والسلالم والقلوب من الإسمنت ..

وثمن طباعة كتاب أوفر من ثمن فستان سهرة ..

فبدأتُ أكتب .. والباقي ألقيتُ به عرض الحائط !


أمك ثم أمك ثم أمك

هذا الكتاب كما أسمه

مذكرات ضلع أعوج

ولأنها مذكرات فقد كُتبت بخط اليد

خط يدها هي .. ندى ناصر

ما زلتُ عالقةً عند منعطف الوجع الأخير ..
وأُفكّر بجدّيةٍ في تبنّي طفل !
أغفو وفجيعةً فقدكَ ترقد إلى جانبي ..
يجرّني الحنين إليكَ على نتوءاتِ الطريق إلى المحكمة ..

تتشكّل خطوطٌ من الدم المسكوب ورائي ..
وصوتٌ يُكركِر في الظلام ..
فأصحو من موتٍ مُحتمل، إلى موتٍ مُؤكّد ..
أغسل عن وجهي كسل الحزن المتثائب كل صباح ..

ثم أنزوي كعادتي في أيّ ركنٍ من الحياة ..
أُراقب سقف الأمل وهو يخِرّ على رأس ذاكرتي ..
وأُصلّي ..
لا أعرف شيئاً يمكنه أن يأتي بكَ غير الصلاة !

Date / /

Note

2008

ذات صباح ..

رَقيتُكَ، واحتضنتُكَ، وقبّلتُكَ ..

وودعتُكَ على أن تعود في الظهيرة ..

وحتى هذه السنة المتأخرة من عمري، لم تعُد بعد!

أُشيّع نفسي إلى دولابك المهجور ..

أدفن وجهي في ملابسك الصغيرة ..

وأخور بالبكاء!

أعرف أنها لم تعُد على مقاسك ..

وأعرف أنه لا جدوى من البكاء ..

لكنه حيلتي الوحيدة!

Date / /

Note

2008

أدسُّ يدَ الحاجة في جيب الكرامة..

وأمسح دموع أملي بمنديل الاعتياد!

وأحشو فمي بأصابعي..

وأعضّ عليها من الغيظ وأنتصر!

Date / /

Note

2008

أكتب بدلاً من أن أقضم أظافري ..

بدلاً من أن أخدش وجهي ..

لك أن تتخيّل ..

إلى أي مدى قد ساءت حالتي ..

وكم سأكتب في الأيام القادمة !

Date / /

Note

2008

ولأنّي لا أعرف لكَ أيّ عنوان ..

ولأنّي لا أعرف كيف صار وجهكَ ..

وهل مازلتَ تُشبهني ..

سأجول شوارع المدينة سافرةً عن وجهي ..

علّكَ إذا رأيتني عرفْتني ورقّ قلبكَ ..

أوَ ليست الضرورات تُبيح المحرّمات ؟

Date / /

Note

2008

رسالتي الوحيدة إليكِ..

- فيما لو عرفتُ لكِ أيَّ عنوان -

هي الآيةُ الستّون من سورة الرحمن!


سقف النساء

Date / /

Note

2008

يكفيني ..
أن تعترف بأني محوت من تاريخك كل ذاكرةٍ تتعلق
بالنساء .. ويكفيني أن تشعر بنقص كل امرأةٍ من
بعدي !

Date | |

Note

2008

أردتك رجلاً لا يمسّني..

ولو تُغلق علينا ألف باب..

ولا يُدنّسني بنزوةٍ..

ولو كان به من الرغبة ما يقتل!

ويدخل البيوت من أبوابها..

ولو كان به خصاصة..

Date / /

Note

2008

ترى كم سَتُحرِق من أعقاب السجائر لتنساني؟
وكم سأبتلع من الأقراص المنوّمة لأفعل الشيء ذاته؟

أحبكَ!
بقدْر ما تحمله هذه الكلمة من الهزائم..
وبقدْر ما تضيّق بها صدري وآطني..
وبقدْر ما ألحقَتْ بي من العار والصَّغار!

Date / /

Note

2008

هل أُضيف؟

حسناً، أنا في غاباتك أضعف من فراشة ..

بمقدورك أن تدعكها بين إبهامٍ وسبّابة..

غير أنّي أبيّةٌ ذات كرامة، أحيا بها وأموت..

وهذا القلب الذي أوْرَدني المهالك..

أستطيع أن أدْهَسه وأُمضي!

Date / /

Note

2008

سيستعيد قلبك ذاكرة الحب المفقودة ..

حالما تراني في ثوبي الأبيض ..

أزوج فتنتي التي تعرفها ..

أشاطر الحياة رجلاً سواك ..

لعبة مهملة في حجرة طفلٍ ..

يستشيط غضباً إذا ما حملها طفلٌ سواه!

Date / /

Note

2008

وأرفع عن أخلاقي طرف ثوبها..
كي لا تتسخ بقذارة الواقع!

Date / /

Note

2008

مازلتُ أنيقةً جداً ..

أنتقي حزني بعناية ..

وأُنسّق حتى أوجاعي ..

وجعكَ أولاً ..

ثم أوجاعٌ أخرى في ترتيبٍ حلزونيّ ..

تنتهي بشمعةٍ ترتعش ..

تحاول أن تصمد في وجه الريح !

Date / /

Note

2008

قلبي لا يقع خلف أضلعي..
قلبي يقع خلف جُمْجُمتي..
فأجبني بذكاءٍ، وأقنعني..
لا تستدرجني الكلماتُ..
إنّما تستدرجني المواقفُ!

Date / /

Note

2008

وأزرع لك في كل شبرٍ لغماً من الذكرى..
حتى إذا ما افترقنا كان قتلك أكيداً!

Date / /

Note

2008

تعتقد أن في الحب مثنى وثُلاث ورُباع ..

وتُجيز لنفسك التعدّد في كل ما يتعلّق بأمر النساء ..

أنا أضمن لك أن تعاشر عشرات النساء من بعدي ..

غير أنّي أثق أنك ستبكيني بعد كل امرأةٍ تغتسل منها !

Date / /

Note

2008

أكبر خطيئة يمكن أن ترتكبها في حق الآخرين..

هي أن تتفوق عليهم..

وأوفر النساء ذكاءً وحسناً، أكثرهن أعداءً!

ولا شيء أبغض إلى قلب المرأة..

من امرأة أخرى تشعرها بالنقص!

Date / /

Note

2008

لا أُلدَغُ من جُحرٍ مرّتين ..

ولا أطرق باباً أُوصِد في وجهي ـ ولو مُتُّ عراءً ـ

ولا أشـــاطرَ امرأةً الرجلَ ذاته ..

ولو شغفني حُباً !

Date / /

Note

2008

عندما اندفعتُ إليكَ بسرعةٍ جنونية ..

وارتطمتُ بلا مبالاتكَ ..

تهشّم نصفي ..

ودُهِس الباقي منّي ..

فواريتُ كُلّي النازف خلف بعضي الصامد ..

ورغم هذا ..

لن أخْنَع لأنصافي المفقودة في حُبكَ ..

وسأمضي بهدفٍ أعرج ..

وحُلمٍ أعور !

Date / /

Note

2008

لن أتسوّل منكَ الحب ..

ولو بلغتُ إليكَ من الفقر عِتيّاً ..

فلا أسوأ من أن أُمْلي عليكَ ..

كيف ينبغي لكَ أن تُحبّني !

Date / /

Note

2008

ولأني امرأةٌ لها في كل شبرٍ عدوّ ..
فلن يُضيرني أبداً أن تزيدَ عددهم واحداً !

Date / /

Note

2008

كنتُ على أتمّ الاستعداد ..
لأرحل معكَ مُخلّفةً ورائي الأهل والعرف والقبيلة ..
أمّا وقد تعفّن صبري في قناني انتظاركَ ..
فلو جئتَ بقبائل العرب كافةً ..
ما منحتُكَ حتى التفاتة !

Date | |

Note |

2008

كنتُ سأغفر لكَ فقركَ ..
وكذبكَ ، وجُبنكَ ..
وضعفكَ ، وتردّدكَ ..
ودمامتكَ ..
حتى صدركَ المبلّل بلعابكَ ..
عند أيّ طيفٍ تظنّه امرأة ..
وتاريخكَ الحافل بالنساء ..

إلّا أن تزهدني !

فِي مراحل دراستي كلها..
كنتُ إذا أخطأتُ إملائياً أو حسابياً..
لا أشطب الكلمة لأصحّحها..
ولا أستخدم الطامس وَطلقاً..
كنتُ أُمزّق الورقة بكاملها..
وأبدأُ من جديدٍ في صفحةٍ أخرى..
هذا مافعلتُه معكَ حين تشوّهتَ بأخطائكَ..
لم أشطبها، ولم أطمسها..
إنّما مزّقتُها لنبدأ من جديد..
غير أنه لم تكن تُجدي معكَ أيّ بدايةٍ أخرى!
كان ينبغي أن تحذر من مثاليتي تلكَ..
امرأةٌ مثلي، لا تتعايش مع الأخطاء..
ولو كلّفها ذلكَ (دفتراً جديداً)!

Date / /

Note

2008

لستُ ناقصةً لأرضى بأنصاف الحلول ..

ولا يستحق صبري أشباه الفرح !

Date / /

Note

2008

أنا يا ملاذي امرأةٌ إذا عشقتُ..

جمعت لك النساء..

في النون والدالِ والألف المقصورة!

وإذا كرهتُ..

تحولتُ إلى زئبق!

عندما أنتظر، وأنتظر، وأنتظر..

ثمّ لا تأتي..

سأظلّ أنتظر..

ولكن بدافعٍ يختلف عن دافع انتظاري الأول..

وعندما تصلْ..

لن أحتضنكَ كما كنتُ أنوي أن أفعل..

سأتحرّى لحظة وصولكَ بفارغ الصبر ذاته..

فقط لأصفق بالباب في وجهكَ..

وأُلقّنكَ كيف أنّ الوقتَ يهدم بروج الحب المشيّدة..

ويُشوّه أجنّة الأحلام!

Date / /
Note

2008

لو أنَّ الوعود المؤَجَّلة تستوجب غرامةً ماليّة..
لقضيْتَ نحبكَ في السجون قبل سدادها..
ولو كنتُ القاضي في شأنكَ..
لما رحمتُكَ ولو فاضت خزائني بالعفو!


عدد الرسائل الواردة (٠)

Date / /

Note

2008

وما دمتَ قد أشركتَ بي ..

فقد كفرتُ بك !

Date / /

Note

2008

رجلٌ دميمٌ لي وحدي..

خيرٌ من رجلٍ وسيمٍ تشاركني فيه إناث المدينة!

Date / /

Note

2008

لا تبدو الأشياء أصغر من واقعها في مرآة

السيارة وحسب..

العيون كذلك..

تبدو أصغر من واقعها في مرآة الحب!

Date / /

Note

2008

بعض الكلمات بنكهة الجُبن ..

يكتبونها داخل قصيدة ..

فلا تكن فأراً فتهلك !

Date / /

Note

2008

عادةً ما تموت الأشياء عندما تكبر ..

إلا الحب ..

وحده الحب يموت عندما يَصغُر!

Date / /

Note

2008

كنتُ أعتقد أنّ الرجل الذي تتّسع أحضانه لطفل ..
حتماً ستتّسع لامرأة ..
وأنّ الطفل الذي وجد الأمان على صدر رجلٍ ..
فقد وجد الأمان الذي تبحث عنه المرأة !
ثم أدركتُ فيما بعد ..
أنّ بمقدور الرجل أن يحتضن طفلاً ..
ويزجّ بأمّ الطفل في تنّور !

Date / /

Note

2008

عندما تعشق المرأة رجلاً ..

لا تمنح جسدها لآخر ..

حتى لو كان هذا الآخر هو (زوجها)!

فالعشق أشدّ ورعاً من العفاف!

Date / /
Note

2008

عطرك الذي يتركه الآخرون عالقاً في مصعد..
عابراً في زحام..
غافياً في سيارة أجرة..
يسافر بي فوراً إلى أزمنةٍ قديمة..
كان لعنقك فيها رائحة الجنة..
ذاكرة الأنف أشدّ وطأةً من ذاكرة العقل..
واسأل أنفك!

Date / /

Note

2008

كذبتُ عليكَ مرةً واحدة ..

لأفاجئكَ بأني أجمل مما تتخيّل ...

وكذبتَ عليّ ألف مرةٍ لتؤكّد لي بأنكَ أسوأ مما قالوا ..

برأيك ، كيف أعتدّ برجولة شخصٍ كاذبٍ ؟

وكيف أستعيد ثقتي برجلٍ جعل الله عرضةً لأيمانه ؟

الكذب أسوأ من (العِنّة) !

هل تعرف العِنّة ؟


ضلع أعوج

Date / /

Note

2008

أحدهم كسرني ليقيم اعوجاجي ..

والآخر حاول أن يجمعني بكلمات صمغية ..

لم تجف حتى الآن !

Date / /

Note

2008

خذلتني مرّتين ..

و (مرّتين) من الخذلان ..

ليست كقلمين ، أو وجبتين ، أو كتابين ..

أو أيّ اثنين يمثّلان عدداً بسيطاً !

مرّتين من الخذلان تعادلان (قُنبلتين نوويّتين)

على الأرض ذاتها !

Date / /

Note

2008

مادمتُ في مجتمعٍ يحبس المرأة في زاويةٍ ضيّقة ..

أحد ضلعيها (لا)

وضلعها الآخر (عيب)

فلا عجب أن أتمرّد!

Date / /

Note

2008

أُدركُ جيداً أني عثرةٌ في طريقك ..

وأحاول جاهدةً أن أُزيحني ..

أوَ ليست إماطة الأذى عن الطريق صدقة ؟

Date / /

Note

2008

لا مآرب لي من الكتابة ..

أكتب كنوعٍ من تحلل الجثث ..

أعيش حالةً من الوفاة ..

ولاحظ التاء المربوطة في نهاية (وفاة)

إذ أنه شتّان ما بينها وبين الهمزة التي تدّعيها!

Date / /

Note

2008

لو أنّ الزنا حلال ..

أيضاً كنتُ سأزوّجك نفسي ..

Date / /

Note

2008

أن تلتزم بكلمتك ، فأنتَ (رجل) ..

أمّا أن تعود في كلمتك من أجلي ..

فأنتَ (نِصف الرجل) !

Date / /

Note

2008

لو أنّ للقلب بكارةٌ تُفضّ عقب الزواج ..

لتفاجأ الأزواج بأنّ مُعظم قلوب النساء (ثيّبة) !

Date / /

Note

2008

أنا السفينة التي خرقها الخضر ..

لأنجو من ظلمك ..

فمن ذا يرممني الآن لأعود إلى الإبحار؟

Date | |
Note

2008

تخيّل لو أنكَ تزور مقبرةً ما..
فيتشبّثُ أحد الموتى بطرف ثوبكَ..
ويُقسِم أنّه قد دُفِنَ حياً..
ذاكَ هو أنا..
منذ أن صرختُ في وجه العنف بـ (كفى)..
أتأرجح ما بين أمسٍ مُشوّه، وغدٍ مجهول..
أتستر بمزقٍ جاءتْ بها الريح..
وألهو بدميةٍ مقطوعة الرأس!

Date / /

Note

2008

بكل ما أوتيَ الأنبياء من صدقٍ ..

أحبك!

Date / /

Note

2008

هل لي بساحرةٍ .. وفأرين .. ويقطين ؟

لأُراقِص الفرح هذا المساء ..

قبل أن تدقّ أجراس الثانية عشرةِ من منتصف عمري .. لربما ساقتْ إليّ فردةَ الحذاء مالم تَسُقْهُ إليّ قبيلتي !

إلى الأحلام المحليّة :

لربما يلزمني ألفُ سنةٍ ضوئية لأصافحك ..
(بروتوكول) العادات و التقاليد ..
سيجعل من لقائنا شيئاً مستحيلاً ..
بلّغي تحياتي للسيدة (قبيلة)!

حُلم مُستورد

إذا تكالبت الأحزان على قلبي ..
واعترضت الطريق عن الهواء إلى رئتي ..
أسرعتُ إلى نافذتي ..
أتأمّل جارَيْنا الأبكمين ..
يتجادلان، ويتمازحان بالإشارة ..
يطوفان شوارع الحي بلا هدف ..
يسخر بهما المارّة، ويقذفهما الصغار بالأحذية ..
فأتساءل بوجعٍ: أيّنا يتألم الآن أكثر؟
هما اللذان لا يسمعان سوى السكون ..
ولا يتحدثان سوى الإشارة ..
أم أنا التي أسمع انكسارات حظّي ..
وأُثرثر بوجعي ..
ويرشقني الكبار بكلماتٍ جارحة ؟

ومن أين لقلوبٍ لا ترحم الأَبكم الأصم ..
أن ترحم اعوجاجي ؟
حمدتُ الله الذي حباني نعمةَ الشكوى والثرثرة ..
وأغلقتُ النافذة .

Date / /

Note

2009

أتشرنق على ذاتي ..

مُبتعدةً عن العالم ..

لا تغريني الحياة خارج حجرتي ..

وأجد البقاء بمفردي خيرٌ من الارتطام

بعقولٍ مُتصحّرة !

Date | |

Note

2008

شعورٌ سيّئ ينمو داخلي بصمت ..

تماماً كما ينمو الجنين المشوّه!

الواو ..

والحاء ..

والدال ..

والتاء المربوطة ..

كل أولئك يتآمرون على شنقي!

يُشعلون الثقاب في طرف ثوبي ..

يتلصّصون على نافذة قلبي ..

ويلتقطون صوراً لوجعي حين يستحم!


مُنتهية الصلاحية

Date | |

Note

2008

أتخيّل لو أني ذات صلاحيّة ..

موشومٌ على ظهري تاريخ إنتاجي، وتاريخ انتهائي..

حتماً سأكون منتهية الصلاحيّة!

Date / /

Note

2008

ما أسوأ أن يستعصي عليك حتى البكاء ..

فبعض الحزن أعظم من البكاء !

متخمةٌ بالخذلان ..

وأمارس الصمت نوعاً من الحمية ..

علّني أفقد شيئاً من وزن الوجع الجاثم على قلبي !

Date / /

Note

2008

عُدْ بي إلى حيث كنتُ قبل أن ألتقيك..

ثم ارحل ..

كان بوسعي حينها أن أُضمّد جرحاً واحداً..

لا جرحين !

ate / /

ote

2008

ذاتٌ تمرّد ..

ستجد مقعدي خاوياً ، دافئاً ..

وقهوتي ساخنة ..

وقلمي مفتوحاً ..

والسطر على ورقتي لم يكتمل !

ستبرد القهوة ..

ويجفّ القلم ..

وتغرب شموسٌ كثيرة ، دون أن أعود !

Date / /

Note

2008

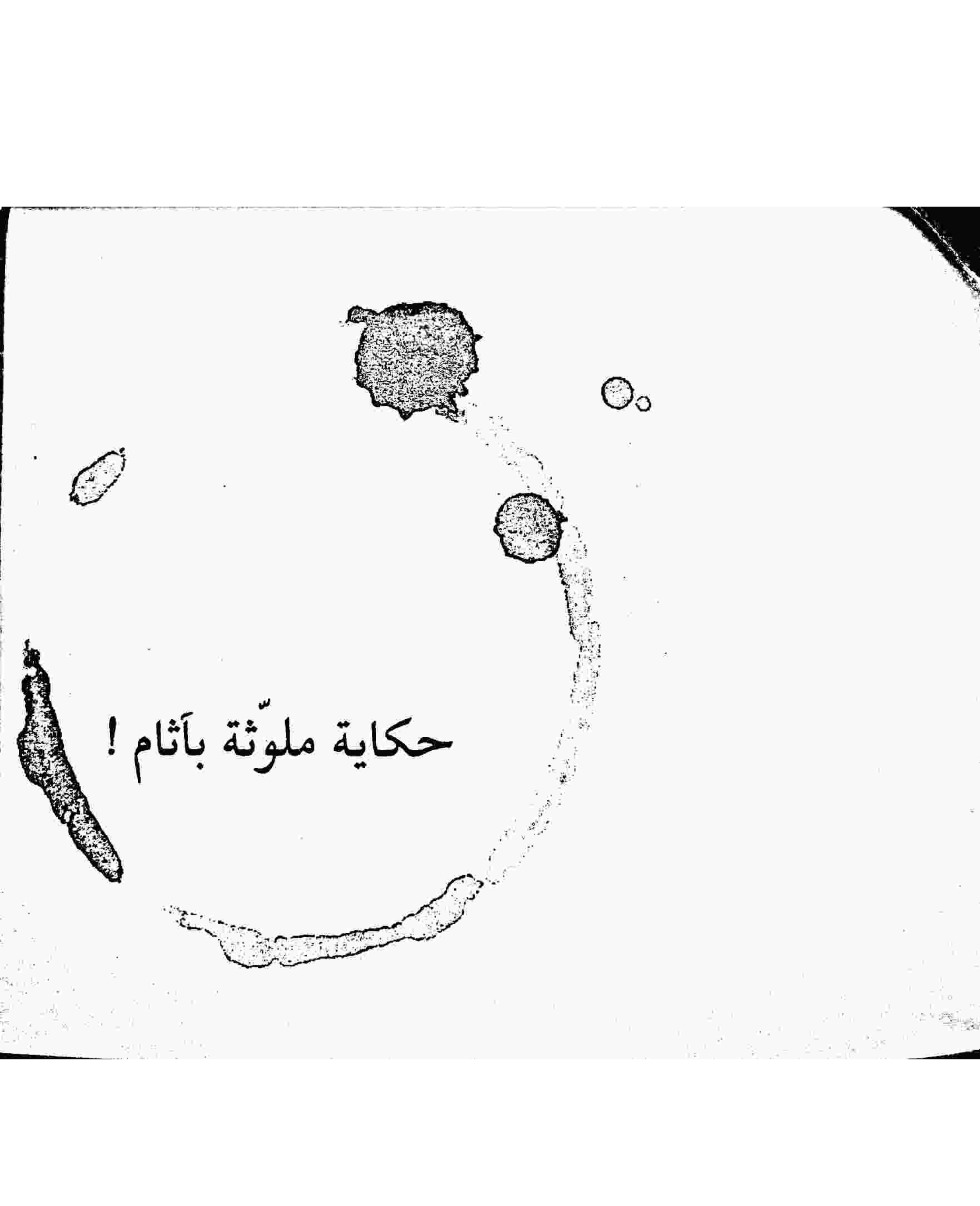
سئمتُ حبك الجائر ..

الذي يدّعي بأنّ المتّهم مُذنبٌ حتى تثبت براءته!

ate | |
ote

2008

إنّ الأثر الذي يتركه المعتقل الطويل على
الناجين للتوّ..
لا يختلف أبداً عن الأثر الذي تركته أنت
على حياتي!



حكاية ملوّثة بآثام !

Date / /

Note

2008

أنا وأنت..

نبدو كالجنة والشيطان..

لا يمكن أن يلتقيا!

Date / /
Note

2008

في مُعتركِ الحفاظِ عليك..
تحرّكتُ بحذرٍ في كلِّ اتّجاه..
ودفعتُ بجنودي وأحصنتي وقلاعي..
حتّى خَلَتْ رُقعةُ حياتي من كلِّ شيءٍ عداك!
ولمّا بقي على النّصرِ خطوةٌ واحدةٌ فقط..
وأوشكتُ أن أقولَ للحزن: (كِش ألم)
قلبْتَ رأس الطاولة وهربْتَ بعيداً..
أفتظنّ أنّي سأعاود اللعب وأُهدِر المزيدَ من وقتي
في الحفاظ على رجلٍ لا يُحسِن استغلال الفُرص؟

Date / /

Note

2008

كان هو طريقاً وعراً (جداً) إلى الجنة..

وليس لديّ من الصبر ما أصمد به حتى القيامة..

وكنتَ أنتَ شيطانٌ لبِقٌ و مُخْذِلٌ..

ترصف الطريق إلى الهاوية بمهارة..

تؤرجحني ما بين الوعد والتسويف..

حتى عادت إليكَ الأرجوحة خاويةً منّي ذات صحوة!

Date / /

Note

2008

اللّه أكبر، اللّه أكبر..

أذّن الفجر، والحظّ تأخّر..

وَدَكّ الوقت صبري حتّى تكسّر..

اللّه أكبر، اللّه أكبر..

كلما نادى المؤذّن وكبّر..

تذكّر..

كم من وعدك قد تغيّر..

وكم من حنيني إليك تعثّر..

فقط تذكّر!

Date / /

Note

2008

تعفّنت أمنياتي تحت درجةٍ مرتفعة من حرارة الانتظار..

فأعدتُ ضبط صبري عند صفر درجة سنويّة..

لا مزيد من السنوات..

الحياة أقصر من مرافقة الكذاب حتى الباب!

Date / /
Note

2008

منحتُكَ كُلِّي ..
في حين كان يستحيل أن تحصل على رُبعي ..
ومنحتني نِصفكَ ..
في حين كان بمقدورك أن تمنحني كُلَّكَ !

Date | |
Note

2008

أكتفي من الحياة بحجرةٍ صغيرة ..
هي عنواني الأخير ..
هي سقف أحلامي المنخفض ..
زنزانةٌ أنيقة ..
أستعيد فيها كرامتي المسروقة ..
أعود إلى الصفر اللعين ..
وأُجرّب العدّ التصاعديّ مرةً أخرى !

Date / /

Note

2008

مدينٌ أنتَ لي باعتذارٍ ..

سيكلّفكَ الدنيا والآخرة !

Date / /

Note

2008

صدّق - أو لا تُصدّق -

إنّي لا أكرهكَ..

فالكُره شعور..

وأنا لا أحمل نحوكَ أيّ شعور!

بعض امتنانٍ فقط..

إذ لو لم تكن بهذا القدر من السوء ما غادرتُكَ..

وما تعرفتُ إلى روعة الحياة من بعدكَ!

رأيتكَ في المنام ..
طاغياً كعادتك ..
تطبخ صبري على نارٍ هادئة ..
وتغرس قلبي في سيخ شواءٍ ..

قمتُ فزعةً أتحسس فراشي ..
أطمئنّ إلى واقعي ..
لم تكن سوى أضغاث رجلٍ ..
لا يجرؤ أن يأتي إلا في المنام!

Date / /

Note

2008

تركتُكَ ..

لأُنقِذَ ما تبقّى منّي !

Date / /

Note

2008

حينما أُصبح مُحرَّمةً عليك ..

سأبدو أشهى وأجمل ..

مثلك يبخس الأشياء حقّها إذا صارت في حوزته ..

ويتطلّع دائماً إلى المحظور !

Game Over

على سبيل الخاتمة :

إنها الثامنة وعشر دقائق ، أعرف أنها في الحقيقة ما هي إلا الثامنة وخمس دقائق ، ذلك أني أضفتُ إلى الساعة خمس دقائق عمداً عندما استبدلتُ بطاريتها الأخيرة ، كي أنضبط في مواعيدي وأكفّ عن التأخير ، غير أنّها خدعةٌ لم تنطلِ على عقلي ، إذ يعرف كلما نظرتُ إليها أنه ما يزال بوسعنا أن نتأخّر خمس دقائق أخرى ، فأصل متأخرةً أكثر من أيّ شخصٍ لم تكذب ساعته . إنني في سباقٍ ماراثونيّ مع الوقت ، ولا أتذكّر بأني قد غلبتُه في أيّ مرة ، إلاّ حينما رأيتُ في المنام أني أقفز من دولة إلى أخرى مثل كنغر ، واستيقظتُ عندما قلبتُ رأسي على الوسادة ، وعلمتُ حين نظرتُ إلى الساعة بأنه لم يمضِ على نومي سوى بضع دقائق . أخبركِ بذلك كي تعرف إلى أيّ حد جاهدتُ في الحصول على وقتٍ لأكتب هذه الترهات أو التأمّلات أو المذكّرات أو الامتعاضات - سمّها ما شئت -

ما زلتُ أتذكّر اللحظة التي وَمَضَت فيها فكرة النشر في رأسي لأول مرة ، يا إلهي كم بدا ذلك عظيمًا حينها ، شعورٌ يأخذك في جولةٍ على بساط الريح ، ينقلك إلى عالم السلاطين والأوشحةً الطائرة والتيجان المرصّعة بالياقوت ، حيث تنفتح الأبواب بلمسة سحريّة ، وتنغلق ما أن تتجاوزها في حركة سينمائية ، بخلفيةٍ موسيقية حماسيّة . تخيّل النشوة التي يمكن أن تعتريكَ عندما تدركُ بأنك لن تعود نكرة ، وأنّ أحدًا قد يُحيّيك دون أن تعرفه ، ويعرفك دون أن تكون قد تناولتَ الإفطار معه يومًا في فسحة المدرسة ، يالها من نشوة !

ثم سرعان ما انطفأ ذلك الوهج كرأس الكبريت في العتمة ، عندما رفض الناشرون كتابي ، وتوالى الرفض كأصداء صرخة ، وهبط بساط الريح فجأةً ، وواصلتُ الطريق مشيًا على الأقدام دون أي وشاحٍ أو تاجٍ أو موسيقى ، حتى وصلتُ أخيرًا إلى أكثر اللصوص تواضعًا ولباقة ، ونُشرَ الكتاب الأول -أو هكذا تخيّلتُ حينها- وضحك الناشر بأسنانٍ مُسوّسة ، وارتجّت بطنه المتكوّرة .

عقودٌ مخلخلة ، أرقامٌ فلكيّة ، طوابيرَ متعرّجة لمواعيد وهميّة ، وعام وعامان وثلاثة أعوامٍ من التوسلات التراجيديّة لأيّ حقٍ من حقوق الكتاب دون جدوى ، بضع نسخٍ فقط بغلافٍ بائس تسلّمتُها بادئ الأمر ، قدّمتُها كـإهداءاتٍ إلى الصحف والأصدقاء وبعض المشاهير ، لكنّ أحداً لم يقرأها - يمكنك أن تضحك الآن ، أنا أيضًا أضحك كلما تذكرتُ ذلك - أدركتُ فيما بعد أن الإهداء نوعٌ من التوسّل ، ولا يستجيب الناس لهذا النوع من التوسلات في العادة ، هل عليّ أن أخبرك بأني أقسمتُ ألاّ أفعلها مرةً أخرى؟ حتى الأصدقاء ، لن يقرؤوا كتابًا يأتيهم دون أن يطلبوه ، وإن فعلوا فلن يكون ذلك عن سابق اهتمام . أرجوك ، عندما أقول أصدقاء ، لا تتخيّل أننا مجموعةٌ نجلس حول طاولة ، نقرع الكؤوس ونضحك وننفض أعقاب السجائر ، الأصدقاء في عالم الكتابة مجرد كائنات تعتقد بأنها تُشبهك أو تُشبهها ، ثم سرعان ما تكتشف بأنها أبعد ما تكون عن ذلك .

كل ما في الأمر أني أردتُ أن أكتب عن الـمُزقة الصفراء التي اقتطعها من قميصي وقيّد بها يديّ حتى ازرقّت أصابعي ، والطَّرْق المتواصل على الباب بأصابع صغيرة ما تزال تكتب الألف متعرّجًا وبعيداً عن السطر ، والأرض المفروشة بشظايا قنّينة مرّت بمحاذاة رأسي وارتطمت بالحائط ، والوسادة الرخاميّة التي التصق بها خدّي وشعري وعَرَقي ودمعي ولعابي .

أردتُ أن أكتب عن الاقتراب الأول الذي لفح وجهي برائحة العفونة ، وسيل الحجج التي تذرّعتُ بها بعد ذلك كي لا أعاود الاقتراب .

أردتُ أن أكتب عن أوّل صفعة تلقّيتُها في حياتي ، عندما شعرتُ لأوّل مرة بأن خدّي الأيسر متورّمًا ، واجمًا ، ساخنًا وينبض ، بينما خدّي الأيمن ساكنًا ، ساهمًا ، لا يعنيه الأمر .

أردتُ أن أكتب عن الشفتين الكبيرتين ، الغليظتين ، المحترقتين ، المحفوفتين بشوارب إبريّة ، وكيف بدا ذلك مُمتعًا ومخيفًا في الآن ذاته .

أردتُ أن أكتب عن الثياب الصغيرة التي أحشوها بالمناشف وأتحدّث إليها كما لو أنها صغاري ، وكيف بدا ذلك مُؤلمًا ومُخدّرًا في الآن ذاته .

أردتُ أن أسعل إذا ما شعرتُ بالحاجة إلى ذلك دون أن ينزعج المستغرقون في التخطيط لإلجامي .

أردتُ أن أتخلّص من فرط شعوري بالمسؤولية تجاه كل شيء كان حولي ، يعنيني أو لا يعنيني ، لقد كنتُ أشعر بالمسؤولية حتى تجاه ثقب الأوزون ، وأمشي بحذرٍ كي لا أطأ في سهْوِ الطريق نملة ، وأتجزّأ إلى سوبرمانات صغيرة تستجيب لكل نداء استغاثة وتحُلّق في كل اتجّاه ، إلى أن ارتطمتُ مرةً بالحائط ومكثتُ طويلاً على الرصيف ، وناديتُ كثيرًا حتى بُحَّ صوتي ، دون أن ينتبه لذلك أحدٌ سوى القطط السائبة .

أردتُ أن أكبر سريعًا وأتجاوز التدرّج والتفاصيل والانحناءات الكثيرة ، لأكشف اللثام عن النهاية المنقّبة . غير أنّي لم أُوفّق في كل ذلك حينها ، وبقيتُ أُكرّر المحاولة مرةً بعد أخرى . لربما ينجح الأمر في المرة القادمة ، أو لربما أملّ وأتوقف عن المحاولة .

ندى

بعد مرور ثمانية أعوام على

ارتكاب الكتابة!

٢٠١٦م


صدر للمؤلفة: في كل قلب مقبرة، على متن حقيبة
الغلاف من تصميم المؤلفة
www.nada11.com